تحذير الكرام من أكل الحرام

الشيخ/ندا أبو أحمد

تحذير الكرام من أكل الحرام

تمهيد

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه، ونستعينُه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، مَن يهد اللهُ فلا مضل له، ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ محمدًا عبدهُ ورسولُه.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله ـ تعالى ـ، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

تحذير الكرام من أكل الحرام

أكل الحرام سبب لعدم إجابة الدعاء:

أكل الحرام سبب لعدم قبول الأعمال:

من أخذ شيئًا بغير حقه جاء يوم القيامة وهو يحمله:

اعلم أخي الحبيب أن أكل الحرام سبب لدخول النار:

فإلى الذين يأكلون الحرام ويتنعمون فيه، اعلموا أن غمسة في جهنم تنسي أي نعيم.

التوبة من الحرام:

أخي الحبيب... إن أردت أن تعيش عيشة هنية، وحياة مرضية، مرتاح الخاطر، وهادئ البال، فعليك بما يلي:

أولًا: القناعة، وأن ترضى بما قسمه الله لك:

ثانيًا: ومما يعينك على الرضا والقناعة: أن تنظر إلى من هو دونك من أهل الدنيا:

ثالثًا: وما يعينك على الرضا والقناعة: أنك تعلم أن هذه الدنيا دار اختبار وامتحان:

رابعًا: مما يعينك على تحري الحلال والبعد عن الحرام هو تذكر مشهد الوقوف بين يدي الله تعالى:

فينبغي أن يُترك الحرام حياءً من الله تعالى:

واعلم أخي الحبب أن سعيك للرزق الحلال جهاد في سبيل الله

تحرى السلف أكل الحلال، والبعد كل البعد عن الحرام

ترك الشبهات

ورع السلف الصالح:

وأخيرًا.. وقبل الختام أذكر بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٨١)

تحذير الكرام من أكل الحرام

أخرج أبو نعيم بسند صحيح عن أبي أمامة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنَّ رُوحَ القُدُسِ[١] نفثَ[٢] في رُوعِي[٣]، أنَّ نفسًا لَن تموتَ حتَّى تستكمِلَ أجلَها، وتستوعِبَ رزقَها، فاتَّقوا اللهَ، وأجمِلُوا في الطَّلَبِ[٤]، ولا يَحمِلَنَّ أحدَكم[٥] استبطاءُ الرِّزقِ[٦] أن يطلُبَه بمَعصيةِ اللهِ[٧]، فإنَّ اللهَ تعالى لا يُنالُ ما عندَه إلَّا بِطاعَتِهِ ".** (صحيح الجامع: ٢٠٨٥)

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أن هناك فئة من الناس يحملها ضيق أو استبطاء الرزق أن تطلبه بمعصية الله تعالى فلم يتركوا بابًا من أبواب الحرام إلا فتحوه، ولا طريقًا مشبوهًا إلا سلكوه، ولا يبالي أحدهم من أين كان مطعمه أمن حلال أم من حرام.... وإلى الله المشتكى.

وقد صدق الحبيب النبي ﷺ فيما قال، ففي هذا الزمان:

- كثرت وسائل النصب والاحتيال، وانتشرت السرقة، وعمت الرشوة، وزاد التعامل بالربا.
- اختلاس المال العام.
- تطفيف الميزان، والغش في السلع.
- وشهادة الزور لأكل أموال الناس بالباطل.
- اغتصاب الأراضي، والغش في المقاولات ومواد البناء.
- تزويغ الموظف من العمل، وخطوط السير الوهمية.
- التدريس في مجال الموسيقى، وإجبار الطلاب على أخذ الدروس الخصوصية.
- انتشار الزنا واتخاذه حرفة، وكثرة عمليات الإجهاض في الأطفال السفاح وأخذ الأجرة على ذلك.
- عمل المرأة راقصة، ومغنية، وعارضة أزياء، وممثلة.
- بيع الخمور والمخدرات والسجائر، والمعسل.
- بيع الكلب، وبيع ملابس التبرج للنساء، بيع التماثيل والصور، وبيع أشرطة الغناء، وبيع المجلات الهابطة التي تدمر الأخلاق، وتحارب الفضيلة.
- ظهور المسابقات في شتى المجالات مع جهالة العرض، أو أخذ أموال من المتسابقين وفوز أحدهم.
- زراعة البانجو، وزراعة العنب لبيعها لمصانع الخمور.

١- إنَّ رُوحَ القُدُسِ: أي جبريلَ عليه السَّلامُ.
٢- نَفَثَ: أي أوْحى.
٣- في رُوعي: أي في نَفْسي وقَلْبي.
٤- وأَجْمِلوا في الطَّلَبِ"، أي: اسْعَوْا في طلَبِ الدُّنيا باعتدالٍ دُونَ إفراطٍ أو تَفريطٍ، واطْلُبوا الحَلالَ برِفْقٍ؛ لأنَّ الرِّفْقَ لمْ يكُنْ في شَيءٍ قَطُّ إلَّا زَانَه، ولَا مُنِعَ من شَيءٍ إلَّا شانَه، فطَلَبُ الرِّزْقِ برِفْقٍ أجْمَلُ من طَلَبِه بعُنْفٍ، واتْرُكوا أخْذَ الحرامِ، كما في روايةِ ابْنِ مَاجَهْ من حديثِ جَابِرٍ ﷺ: "خُذوا ما حَلَّ، ودَعوا ما حَرُمَ".
٥- ولا يَحْمِلَنَّ أحدَكُمْ: أي: لا يَدْفعنَّه.
٦- اسْتِبْطاءُ الرِّزْقِ: أي: تأخُرُ الرِّزْقِ، وهذا فيما يَراهُ، ولكنَّ قَدَرَ الرِّزقِ وموعدَه مُقدَّرٌ عند اللهِ.
٧- أنْ يَطْلُبَهُ بمعصيةِ اللهِ: ومعلومٌ أنَّ الرِّزْقَ لا يَتأخَّرُ عن وَقْتِهِ، ولكنَّ الإنسانَ قد يَسْتعجِلُه قبْلَ وقْتِه المُقدَّرِ، فإذا لم يأْتِ قبْلَ ذلك الوَقْتِ اسْتَبْطَأَهُ فطَلَبَه من الحرامِ.

- أكل حق الأجير.
- العمل في الفنادق التي يدار على مائدتها الخمر والميسر.
- العمل في المقاهي والبارات.
- العمل في الفرق الموسيقية والأفراح الغنائية.
- العمل في الكوافير (حلاق النساء).
- العمل في البنوك الربوية.
- العمل في مجال السحر والكهانة.. وغير ذلك من ألوان البيوع والمعاملات المحرمة.

وصدق الحبيب النبي ﷺ حيث قال: **" لَيَأْتِيَنَّ علَى النَّاسِ زَمانٌ، لا يُبالِي المَرْءُ بما أخَذَ المالَ، أمِنْ حَلالٍ أمْ مِن حَرامٍ ".** **(رواه البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ)**

وفي هذا الحديثِ يُخبِرُ النَّبيُّ ﷺ أنَّ النَّاسَ سَوفَ تَتغيَّرُ بهم الأحوالُ، وتَتبدَّلُ بهم الأزمانُ، ويَأتي عليهم زَمانٌ يَضْعُفُ فيه الدِّينُ، وتَفسُدُ الضَّمائرُ والذِّممُ، ويَتكالَبُ النَّاسُ فيه على جَمْعِ المالِ، ولا يُبالي المَرءُ مِن أينَ أصابَ المالَ؛ مِن حَلالٍ أو حَرامٍ، فلا تُهِمُّه الوَسيلةُ الَّتي اكتَسَبَ بها المالَ، والطَّريقَ الَّذي أَخَذَه مِنه، سواءٌ كان مِن كَسْبٍ حَلالٍ، كالبيعِ المَبرورِ، وعَمَلِ اليدِ، أمْ مِن الحرامِ، كالاختِلاسِ والرِّبا، والقِمارِ والرِّشْوةِ، وغيرِها، فَهَدَفُهم وغايتُهم جَمْعُ الأموالِ والتَّكسُّبُ دونَ تَحرِّي الحَلالِ والحرامِ. (الدرر السنية)

فالأمر خطير، وتكمن خطورة الأمر في أن أكل الحرام لا يقف عند حد فتراه لا يشبع ويسعى للمزيد.

وقد جاء عند البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: **"... فمَن يَأْخُذْ مَالًا بحَقِّهِ يُبَارَكْ له فِيهِ، وَمَن يَأْخُذْ مَالًا بغيرِ حَقِّهِ فَمَثَلُهُ، كَمَثَلِ الذي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ.**

- ***وفي رواية:*** **" وإنَّ هذا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَن أَخَذَهُ بحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ في سَبِيلِ اللَّهِ، وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَن لَمْ يَأْخُذْهُ بحَقِّهِ، فَهو كَالْآكِلِ الذي لا يَشْبَعُ، وَيَكونُ عليه شَهِيدًا يَومَ القِيَامَةِ ".** **(رواه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ)**

ففي هذا الحديث يبين النبي ﷺ أنه مَن أُعطِيَ المال فأخْرَجَ منه زَكاةَ مالِه على المِسكينِ واليَتيمِ وابنِ السَّبيلِ، فهو نِعْمَ الصَّاحِبُ الذي يَشهَدُ له يومَ القيامةِ، وأمَّا مَن أخَذَه بغَيرِ حَقِّه فإنَّ اللهَ يَنزِعُ منه البَرَكةَ، ويَسلُبُ صاحِبَه القَناعةَ، فيُصبِحُ فَقيرَ النَّفْسِ دائمًا، ولو أُعطِيَ كُنوزَ الأرضِ، وكان كالذي يَأكُلُ ولا يَشبَعُ، فهو كالمَلهوفِ الذي لا يَشبَعُ مِنَ الطَّعامِ مهْما أكَلَ منه؛ لأنَّه كلَّما نالَ منه شَيئًا ازدادَتْ رَغبَتُه، واستقَلَّ ما عِندَه، ونَظَرَ إلى ما فَوقَه، فيَظَلُّ مُتعَطِّشًا إليه، شَرِهًا في طَلَبِه ما بَقيَ حَيًّا، ويَأتي هذا المالُ شاهِدًا عليه يَومَ القيامةِ بحِرْصِه، وإسرافِه، وإنفاقِه فيما لا يُرضِي اللهَ عزَّ وجلَّ.

فهذا الصنف من الناس يَصدق عليهم حديث النبي ﷺ:"... لوْ كانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ[1] مِن مَالٍ، لَابْتَغَى وَادِيًا ثَالِثًا، وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ[2]..". (رواه مسلم من حديث أبي موسى الأشعري ﷺ)

- وفي رواية عن الإمام أحمد:" لو كان لابنِ آدَمَ واديانِ مِن ذهَبٍ وفضَّةٍ[3]، لابتغى إليه آخَرَ، ولا يملأُ بطنَ ابنِ آدَمَ إلَّا التُّرابُ، ويتوبُ اللهُ على مَن تاب.

يقول عيسى-عليه السلام- في شأن هؤلاء:" مثل طالب الدنيا كشارب البحر، كلما زاد شربا منه زاد عطشا حتى يقتله ".

فهذا حال الذين يأكلون الحرام، أُشرِبُوا حب المال، وقدموه على محبة الرحمن، وهناك سنة ربانية لا تتبدل وهي: أن من أحب شيئًا أكثر من محبته لله عذبه اللهُ به، فتراه معذبًا لجمع هذا المال، فإذا حصله وجمعه، تراه معذبًا خوفًا من ضياعه، فلا يهنأ بطعام، ولا تكتحل عينه بمنام، وتراه معذبًا عندما يرحل عن الدنيا ويترك هذا المال كله ثم يحاسب عليه كله. فهذا حال الذين يأكلون الحرام، لا يهتمون إلا بجمع المال؛ صلتهم مقطوعة بربهم، كلما دعوا الله لا يستجيب لهم، طالما أنهم يأكلون الحرام.

أكل الحرام سبب لعدم إجابة الدعاء:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون: ٥١)، وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة: ١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!".

فإذا نظرت لحال هذا الرجل رأيته جاء بأربعة أسبابٍ يستجاب معها الدعاء: فإنه مسافر، وللمسافر دعوة مستجابة، "أشعث أغبر" أي حُصولُ التَّبذُّلِ في اللِّباسِ والهيئةِ وهو أدعى لقبول الدعاء، ورفع يديه إلى السماء والله تعالى حيي يستحي إذا رفع عبده إليه يديه أن يردهما صفرًا خائبتين، والإلحاحُ على اللهِ في الدعاء، فقال: "يارب يارب" والله يحب هذا، ومع كل هذه الأمور إلا أنه لم يقبل له دعاء، لأن مطعمه ومشربه وملبسه حرام، وغذى من حرام، فأكل الحرم يرد الدعاء

١- الوادي: هو كلُّ مُنفَرِجٍ بيْنَ جبالٍ أو آكامٍ.
٢- وَلَا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلَّا التُّرَابُ: أي أنَّه لا يَزالُ حَرِيصًا على الدُّنْيا حتَّى يَموتَ ويَمْتَلِئَ جَوْفُه مِن تُرابِ قَبْرِه، ويَحتمِلُ أنْ يُرِيدَ بالجوْفِ القَلْبَ، ويُرِيدُ بذلك أنَّه لا يَمَلُّ مِن مَحبَّةِ المالِ؛ وذلك لأنَّ الإنسانَ بطَبْعِه مَيَّالٌ إلى حُبِّ المالِ، وفيه طَمَعٌ، ولا يَشبَعُ منه، وليس له حدٌّ يَنْتَهي إليه، إلَّا ما كان مِن مادَّتِه، وهو التُّرابُ.
٣- وفي لفظٍ: أو فضَّةٍ.

يقول ابن رجب–رحمه الله– في الحديث السابق: " أكل الحرام، ومشربه، ولبسه، والتغذي به، سبب موجب لعدم إجابة الدعاء ". (جامع العلوم والحكم ص: ٩٢)

وقال الإمام النووي–رحمه الله– في شرحه على مسلم:٧/١٠٤": " في الحديث الحث على الإنفاق من الحلال، والنهي عن الإنفاق من غيره، وفيه: أن المأكول، والمشروب، والملبوس ينبغي أن يكون حلالًا خالصًا لا شبهة فيه، وأن من أراد الدعاء كان أولى بالاعتناء بذلك من غيره ".

ويقول ابن كثير–رحمه الله– في" تفسيره:١/٢٥٠": **عند قوله تعالى:** ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ**﴾ (البقرة: ١٧٢) يقول الله تعالى آمرًا عباده المؤمنين بالأكل من طيبات ما رزقهم الله تعالى، وأن يشكروه تعالى على ذلك والأكل من الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة، كما أن الأكل من الحرام يمنع قبول الدعاء والعبادة ".

وصدق ابن كثير–رحمه الله– فكما أن أكل الحرام يمنع قبول الدعاء فهو كذلك بسبب عدم قبول العبادة.

أكل الحرام سبب لعدم قبول الأعمال:

فالله تعالى طيب لا يقبل إلا طيبًا، فالمال الحرام لا يقبله الرحمن وعمل صاحبه مردود عليه.

فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسند فيه مقال من حديث أبي هريرة ﷺ أن الحبيب النبي ﷺ قال: **" إذا خرج الحاجُّ حاجًّا بنفقةٍ طيبةٍ، ووضع رجلَيهِ في الغرزِ[1]، فنادى: لبيك اللهم لبيكَ، ناداه منادٍ من السماءِ: لبيك وسعديكَ، زادُك وراحلتُك حلالٌ، وحجُّكَ مبرورٌ غيرُ مأزورٌ، وإذا خرج بالنفقةِ الخبيثةِ فوضع رجلَه في الغرزِ فنادى: لبيك، ناداه منادٍ من السماءِ: لا لبيك ولا سعديكَ، زادُك حرامٌ، ونفقتُك حرامٌ، وحجُّك غيرُ مبرورٍ".** (السلسلة الضعيفة: ٤٤٠٣)

فالحج مردود غير مقبول بسبب النفقة الحرام.

وقد قيل:

يا من أردت الحج بمال أصله سحت ... فما حججت ولكن حجت العير

لا يقبل الله إلا كل طيب فما ... كل من حج بيت الله مقبول

وإن كان الحديث ضعيفًا إلا أن المعنى صحيح وتشهد له أحاديث صحيحة منها: **" لا تُقْبَلُ صَلاةٌ بغيرِ طُهُورٍ ولا صَدَقَةٌ مِن غُلُولٍ[2] ".**

فأكل الحرام سبب لعدم قبول الأعمال.

---

١ - الغرز: ركاب من جلد.

٢ - الغُلول: وهو ما سُرِقَ وأُخِذَ مِنَ الغَنيمةِ قبلَ أن تُقَسَّمَ، وسُمِّيَت بذلك لأنَّ الآخِذَ يغُلُّ المالَ في مَتاعِه، أي: يُخفيه فيه، ويُطلَقُ على الخيانةِ مُطلَقًا، والمُرادُ منه هنا مُطلَقُ المالِ الحرامِ، أُخِذَ خُفيةً أو جَهرةً، ويَشمَلُ النَّهيُ كلَّ المالِ العامِّ.

يقول ابن عباس-رضي الله عنهما-: **" لا يقبل الله صلاة امرئ في جوفه حرام [حتى يتوب إلى الله تعالى منه]".** (جامع العلوم والحكم لابن رجب ص: ٩٣)

- ***ويقول وهيب بن الورد-رحمه الله-:*** " لو قمت قيام السارية ما نفعك حتى تنظر ما يدخل بطنك أحلال أم حرام ". (المصدر السابق)

- ***ويقول يوسف بن أسباط-رحمه الله-:*** " إذا تنسك الشاب، قال الشيطان لأعوانه: انظروا من أين مطعمه؟ فإن كان مطعم سوء، قال: دعوه يتعب ويجتهد فقد كفاكم نفسه، إن اجتهاده مع أكل الحرام لا ينفعه ". (مختصر شعب الإيمان)(إحياء علوم الدين للغزالي)

يقول سفيان الثوري -رحمه الله-: " من انفق الحرام في الطاعة كان كمن طهر الثوب بالبول، والثوب لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال ".

يقول الفضيل بن عياض-رحمه الله-: سئل سفيان الثوري عن فضل الصف الأول، فقال: انظر كسرتك التي تأكل، من أين تأكلها؟ وصل في الصف الأخير ". (يعني لا يضرك لو صليت في الصف الأخير)

ويقول أبو عبد الله الناجي الزاهد-رحمه الله-: " خمس خصال بها تمام العمل: الإيمان بالله -عز وجل-، ومعرفة الحق، وإخلاص العمل لله، والعمل على السنة، وأكل الحلال، فإن فقدت واحدة لم يرتفع العمل ".

وذلك إذا آمنت بالله تعالى ولم تعرف الحق لم تنتفع، وإذا عرفت الحقَّ ولم تعرف الله لم تنتفع، وإذا عرفت الله وعرفت الحق ولم تخلص العمل لم تنتفع، وإن عرفت الله وعرفت الحق وأخلصت العمل ولم يكن على السنة لم تنتفع، وإن تمت الأربع ولم يكن الأكل من حلال لم تنتفع ".

(جامع العلوم والحكم لابن رجب رحمه الله ص: ٣٩)

وقال ابن رجب -رحمه الله- أيضًا في" كتابه جامع العلوم والحكم ص: ٣٩: " وفي قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ**﴾ (المؤمنون:٥١) المراد بهذا الرُّسل وأممهم مأمورون بالأكل من الطيبات التي هي الحلال، وبالعمل الصالح، فمتى كان الأكل حلالًا فالعمل الصالح مقبول، فإذا كان الأكل غير حلال فكيف يكون العمل مقبولًا؟

هذا حال آكل الحرام في الدنيا: ضيق في الصدر، وسواد في الوجه، ودعاء مردود، وعمل غير مقبول، وقلق، واكتئاب، واضطراب في النفس. وفي الآخرة، فكل من أخذ شيئًا بغير حق، فإنه يأتي يوم القيامة وهو يحمله.

من أخذ شيئاً بغير حقه جاء يوم القيامة وهو يحمله:

فقد أخرج البخاري ومسلم في حديث أبي حميد عبد الرحمن بن سعد الساعدي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:"..... واللَّهِ لا يَأْخُذُ أحَدٌ مِنكُم شيئًا بغيرِ حَقِّهِ إلَّا لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُهُ يومَ القِيامَةِ، فَلَأَعْرِفَنَّ أحَدًا مِنكُم لَقِيَ اللَّهَ يَحْمِلُ بَعِيرًا له رُغَاءٌ(١)، أوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ(٢)، أوْ شَاةً تَيْعَرُ(٣)، ثُمَّ رَفَعَ يَدَهُ حتَّى رُئِيَ بَيَاضُ إبْطَيهِ، يقولُ: اللَّهُمَّ هلْ بَلَّغْتُ(٤)؟".

فيامن تجمع من الحرام:

دع الحـرص على الدنيا ... وفي العيش فلا تطمع
لا تجمع من الحرام فإنك ... لا تـدري لمن تجمــع
فـإن الــرزق مقســـوم ... وســوء الظـن لا ينفع
فقير كـــل مـن يطمـع ... غنى كـل مــن يقنــع

(عقلاء المجانين لابن حبيب)

اعلم أخي الحبيب أن أكل الحرام سبب لدخول النار:

نعلم جميعًا أن الجنة دار الطيب المحض، والنار دار الخبيث المحض، وحيث أن الحرام خبيث لا طيب فيه، كانت النار أولى به.

فقد أخرج الطبراني من حديث أبي بكر الصديق ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " كلُّ جَسَدٍ نبتَ مِنْ سُحْتٍ فالنارُ أولَى بِهِ ". (صحيح الجامع: ٤٥١٩)

وأخرج الترمذي من حديث كعب بن عجرة ﷺ أن النبي ﷺ قال له: " أعيذُكَ باللَّهِ يا كعبُ بنَ عُجرةَ من أمراءَ يَكونونَ من بعدي، فمن غشِيَ أبوابَهم فصدَّقَهم في كذبِهم وأعانَهم على ظُلمِهم فليسَ منِّي ولستُ منهُ ولا يردُ عليَّ الحوضَ، ومن غشيَ أبوابَهم أو لم يغشَ ولم يصدِّقهم في كذبِهم ولم يُعِنهم على ظلمِهم فَهوَ منِّي وأنا منهُ وسيَرِدُ عليَّ الحوضَ، يا كعبُ بنَ عُجرةَ! الصَّلاةُ برهانٌ، والصَّومُ جنَّةٌ حصينةٌ، والصَّدَقةُ تطفئُ الخطيئةَ كما يُطفئُ الماءُ النَّارَ، يا كعبُ بنَ عُجرةَ! إنَّهُ لا يربو لحمٌ نبتَ من سحتٍ إلَّا كانتِ النَّارُ أولى بِهِ ". (صحيح الترمذي: ٦١٤)

– ***وفي رواية لابن حبان:*** " يا كعبُ بنَ عُجْرةَ! إنَّه لا يدخُلُ الجنَّةَ لحمٌ ودمٌ نبتا على سُحتٍ النَّارُ أَوْلى به، يا كعبُ بنَ عُجْرةَ! النَّاسُ غاديانِ: فغادٍ في فِكاكِ نفسِه فمُعتِقُها، وغادٍ موبِقُها، يا كعبُ بنَ عُجْرةَ! الصَّلاةُ قربانٌ، والصَّدقةُ برهانٌ، والصَّومُ جُنَّةٌ، والصَّدقةُ تُطفِئُ الخطيئةَ كما يذهَبُ الجليدُ على الصَّفا".

(صحيح ابن حبان: ٥٥٦٧)

١ـ رُغاءٌ: وهو صَوتُ البَعيرِ.
٢ـ أو بَقَرةً لها خُوارٌ، وهو صَوتُ البقرِ.
٣ـ أو شاةً تَيْعَرُ: وَمَعناهُ: تَصيحُ، واليُعارُ: صَوْتُ الشَّاةِ.
٤ـ ثُمَّ رَفَعَ ﷺ يَدَيْه حتَّى رَئِيَ بَياضُ إبْطَيْهِ، وقال: أَلا هَل بَلَّغْتُ؟ وهذا من المبالغةِ في إشهادِ النَّاسِ على أنفُسِهم أنَّه قد بلَّغَهم حُكْمَ اللهِ.

وأخرج الترمذي واللفظ له وابن ماجه وأحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: سُئِلَ رسولُ اللَّهِ ﷺ عن أَكْثرِ ما يُدخلُ النَّاسَ الجنَّةَ؟ فقالَ: تقوى اللَّهِ، وحُسنُ الخلُقِ، وسُئِلَ عن أَكْثرِ ما يُدخِلُ النَّاسَ النَّارَ، قالَ: الفَمُ[1]، والفَرجُ[2] ". (صحيح الترمذي: ٢٠٠٤)

- *وفي رواية:*" أتدرونَ ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسُ النارَ؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلم، قال: فإنّ أكثر ما يُدخلُ الناسُ النارَ الأجوفانِ: الفرجُ والفمُ، أتدرونَ ما أكثرُ ما يُدخلُ الناسُ الجنّةَ؟ قالوا: اللهُ ورسولهُ أعلمُ، قال:" فإن أكثرَ ما يُدخلُ الناسُ الجنةَ تقْوى اللهِ وحُسْنُ الخلقِ ".

وفي حديث أخرجه البخاري ومسلم عن أم سلمة-رضي الله عنها- عن النبي ﷺ قال:" إنَّما أنا بَشَرٌ وإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، ولَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكونَ ألْحَنَ بحُجَّتِهِ مِن بَعْضٍ، فأقْضِي علَى نَحْوِ ما أسْمَعُ، فمَن قَضَيْتُ له مِن حَقِّ أخِيهِ شيئًا، فلا يَأْخُذْهُ فإنَّما أقْطَعُ له قِطْعَةً مِنَ النَّارِ ".

وأخرج الإمام مسلم من حديث عمر بن الخطاب ﷺ قال:"لَمَّا كانَ يَوْمُ خَيْبَرَ[3]، أقْبَلَ نَفَرٌ مِن صَحابَةِ النبيِّ ﷺ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فُلانٌ شَهِيدٌ، حتَّى مَرُّوا علَى رَجُلٍ، فقالوا: فُلانٌ شَهِيدٌ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ:" كَلَّا، إنِّي رَأَيْتُهُ في النَّارِ في بُرْدَةٍ، أوْ عَباءَةٍ غَلَّها[4] ".

وأخرج البخاري من حديث خولة بنت قيس الأنصارية- وهي امرأة حمزة - قالت:" سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ يقولُ:" إنَّ رِجَالًا يَتَخَوَّضُونَ في مَالِ اللَّهِ بغيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يومَ القِيَامَةِ ".

وفي هذا الحديثِ حذَّرَ النَّبيُّ ﷺ بَعضَ الرِّجالِ مِن العُمَّالِ وغيرِهِمْ، أنْ يَتَصرَّفوا في مالِ اللهِ بغيرِ حقٍّ، وهذا معنًى عامٌّ في كلِّ ما يَخُصُّ المالَ مِن حيثُ جَمعِه وكَسْبِه مِن غيرِ حِلِّه، وإنفاقُه في غيرِ مَواضِعِه الصَّحيحةِ، وإضافةُ المالِ إلى اللهِ تعالَى يُقصَدُ بها أموالَ الغنائمِ وبُيوتَ أموالِ المسلمينَ العامَّةِ التي جَعَلَها اللهُ لمَصالِحِهِمْ، فيَأخُذُها العمَّالُ والحُكَّامُ بغيرِ حقٍّ وبالباطلِ، فيَأْخُذونَ مِنها أكثرَ ممَّا يَستحِقُّونَ على أعمالِهِمْ، أو يُعطُونَ مَن لا يَستَحِقُّ، أو غيرَ ذلكَ ممَّا ليسَ بحَقٍّ، فأخبَرَ النَّبيُّ ﷺ أنَّ هؤلاءِ لهم النَّارُ يومَ القيامةِ، إلَّا أنْ يَتوبوا، فيَرُدُّوا المظالِمَ إلى أهلِها، وقولُه:" فلَهُمْ" يدُلُّ على سُرعةِ العذابِ وقُربِهِ الشَّديدِ ممَّن يَتصرَّفونَ في الأموالِ بغيرِ حقٍّ. (الدرر السنية)

١- الفَمُ: وذلك لأنَّه رُبَّما كان سَبيلًا لأكلِ الحرامِ، والنُّطقِ بالحرامِ، فيَكونُ فيه هلاكُ الإنسانِ.
٢- الفَرْجُ: وذلك لأنَّه ربَّما كان سبيلًا لارتكابِ الفَواحِشِ، والوُقوعِ في المُحرَّماتِ، فكان مِن أكثَرِ الأشياءِ سببًا في هَلاكِ العبدِ، ودُخولِه النَّارَ.
٣- غزوةُ خَيبرَ: وكانت في السَّنةِ السَّابعةِ من الهِجرةِ، بين المُسلِمينَ واليَهودِ، وكانت قَريةً يَسكُنُها اليَهودُ على بُعدِ (١٥٣ كم) تَقريبًا من جِهةِ الشَّامِ.
٤- صَرَّحَ القُرآنُ والسُّنَّةُ بأنَّ الغُلَّ - وهو الآخِذُ من الغَنيمةِ قبلَ أن تُقسَمَ- يَأتي يومَ القيامةِ والشَّيءُ الَّذي غَلَّه معه، قالَ تَعالَى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران: ١٦١)

فإلى الذين يأكلون الحرام ويتنعمون فيه، اعلموا أن غمسة في جهنم تنسي أي نعيم.

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" يُؤْتَى بأَنْعَمِ أهْلِ الدُّنْيا مِن أهْلِ النَّارِ يومَ القِيامَةِ، فيُصْبَغُ في النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقالُ: يا ابْنَ آدَمَ! هلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ[1]، ويُؤْتَى بأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا في الدُّنْيا مِن أهْلِ الجَنَّةِ، فيُصْبَغُ صَبْغَةً في الجَنَّةِ، فيُقالُ له: يا ابْنَ آدَمَ! هلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هلْ مَرَّ بكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فيَقولُ: لا واللَّهِ يا رَبِّ، ما مَرَّ بي بُؤْسٌ قَطُّ، ولا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ.**

وصدق القائل حينما قال:

تغنى اللذاذة ممن نال لذتها ... من الحرام ويبقى الإثم والعار

تبقى عواقب سوء من مغبتها ... لا خير في لذة من بعدها النار

التوبة من الحرام:

فيامن وقعت في أكل الحرام قد علمت خطورة الأمر، فما عليك إلا أن تبادر إلى التوبة، والتحلل من الحرام.

يقول الشيخ المنجد-حفظه الله- في" كتابه محرمات استهان بها الناس ص: ٥٤": " ويجب على من اختلس أو سرق شيئًا أن يعيده إلى مكانه بعد أن يتوب إلى الله تعالى، سواء أعاده سرًا أو علانية، شخصيًا أو بواسطة، فإن عجز عن الوصول إلى مكان المال، أو صاحب المال مع الاجتهاد في البحث فإنه يتصدق به وينوي ثوابه لصاحبه ". اهـ

وحقيقة التوبة: الإقلاع عن الذنب، والندم على فعله، والعزم على عدم العودة إليه، وإن كان عنده للناس مظالم ردها، وتحلل منها الآن قبل عدم الإمكان.

فقد أخرج الشيخان من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: **" مَن كَانَتْ له مَظْلَمَةٌ لأخِيهِ مِن عِرْضِهِ أَوْ شيءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ منه اليومَ، قَبْلَ أَنْ لا يَكونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إنْ كانَ له عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ منه بقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وإنْ لَمْ تَكُنْ له حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِن سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عليه ".**

وفي هذا الحديثِ يَأمُرُ النَّبيُّ ﷺ كلَّ مَن ظَلَم أخاهُ المسلِمَ في عِرْضِه، بالذَّمِّ والقدْحِ، سواءٌ كان في نفْسِ أخيهِ المسلِمِ، أو أصْلِه كأبيهِ وأُمِّه، أو فَرْعِه كابنِه وابنتِه، أو ظَلَمَه في شَيءٍ آخَرَ كالأموالِ والجِراحاتِ وغيرِها -أنْ يَتَحلَّلَه، يعني: يَطلُبَ منه أنْ يُحِلَّه ويُسامِحَه اليومَ في أيَّامِ الدُّنيا، قبْلَ أنْ يَأتِيَ يومُ القيامةِ حيث لا دِينارَ مِن ذَهَبٍ ولا دِرهَمَ مِن فِضَّةٍ يَدفَعُه لمَن ظَلَمَه لِيَفدِيَ به نفْسَه؛ إذ القِصاصُ يومَها بالحَسَناتِ والسَّيِّئاتِ؛ بأنْ يُأخَذَ هذا المظلومُ ممَّن ظَلَمَه مِن ثَوابِ عَمَلِه الصَّالحِ يومَ القيامةِ، بقدْرِ مَظلِمتِه التي ظُلِمَها، فإنْ لم يكُنْ للظَّالِمِ حَسَناتٌ وُضِعَ مِن سيِّئاتِ هذا المظلومِ على الظَّالِمِ. (الدرر السنية)

١ـ وقوله:" لا واللهِ يا رَبِّ" وهذا نَفْيٌ مُؤكَّدٌ بالقسَمِ، فتُنْسِيهِ تِلك الغَمسَةُ الواحدةُ كُلَّ نَعيمٍ ذاقَه في الدُّنيا، مهْما طالَ عُمْرُه في نَعيمِ الدُّنيا، ومَهما تَمتَّعَ بِملذَّاتِها وشَهواتِها؛ فَكيفَ بِمَنْ هُو خالدٌ مُخلَّدٌ في النارِ أبدَ الآبِدينَ؟!.

يقول القرطبي-رحمه الله- في" كتابه التذكرة ص:٢٤٠": " فإذا مات الإنسان قبل ردِّ المظالم أحاط به خصماؤه يوم القيامة، فهذا يأخذ بيده، وهذا يقبض على ناصيته، وهذا يتعلق به، وهذا يقول: ظلمتني، وهذا يقول: شتمتني، وهذا يقول ذكرتني بالغيبة، وهذا يقول: استهزأت بي، وهذا يقول: جاورتني فأسأت جواري، وهذا يقول: عاملتني فغششتني، وهذا يقول: بايعتني وأخفيت عني عيب متاعك، وهذا يقول: كذبت عليّ في سعر متاعك، وهذا يقول: رأيتني محتاجًا وكنت غنيًا فما اطعمتني، وهذا يقول: وجدتني مظلومًا وكنتَ قادرًا على دفع الظلم فداهنت الظالم وما راعيتني. فبينما هو كذلك وقد أنشب الخصماء فيه مخالبهم، وهو مبهور متحير من كثرتهم، وقد ضعف عن مقاومتهم، ومد عنق الرجاء إلى سيده ومولاه لعله يخلصه من أيديهم، إذا قرع سمعه نداء الجبار﴿**الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ**﴾ (غافر:١٧) فعند ذلك ينخلع قلبه من الهيبة، ويتذكر ما قد انذره الله به على لسان رسول الله ﷺ: ﴿**وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ**﴾ (إبراهيم:٤٢) فما أشد حسرته في ذلك اليوم إذا وقف به على بساط العدل، وأحاط به خصماؤه، وهو لا يستطيع أن يرد حقًا، أو أن يظهر عذرًا، فعند ذلك تؤخذ حسناته التي تعب فيها عمره وتنقل إلى خصومه عوضًا عن حقوقهم.

فكيف به هذا المسكين في يوم يرى فيه صحيفته خالية من حسنات طال فيها تعبه؟ فيقول: أين حسناتي؟ فيقال: نقلت إلى صحيفة خصمائك. ويرى صحيفته مشحونة سيئات غيره، فيقول: يارب هذه السيئات ما قارفتها قط، فيُقال: هذه سيئات الذين اغتبتهم وشتمتهم وظلمتهم في المعاملة والمبايعة والمجاورة. فاتق الله في مظالم العباد بأخذ أموالهم والتعرض لأعراضهم ". اهـ بتصرف واختصار.

أحبتي في الله:

إن التعامل بين الناس في الدنيا يكون بالدرهم والدينار، ولكن في الآخرة سيكون التعامل بالحسنات والسيئات، ورأس مال العبد في هذا اليوم حسناته.

فمن الناس من يأتي بحسنات يوم القيامة، لكن عليه مظالم للعباد، فيأخذون من حسناته بقدر ما لهم من حقوق، فإذا فنيت حسناته وبقي عليه من المظالم، فتؤخذ من سيئاتهم فتطرح عليه، ثم يطرح في النار- عياذا بالله- وهذا هو المفلس الذي أخبر عن النبي ﷺ ***كما في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:*** **" أَتَدْرُونَ ما المُفْلِسُ؟ قالوا: المُفْلِسُ فِينا مَن لا دِرْهَمَ له ولا مَتاعَ، فقالَ: إنَّ المُفْلِسَ مِن أُمَّتي يَأْتي يَومَ القِيامَةِ بصَلاةٍ، وصِيامٍ، وزَكاةٍ، ويَأْتي قَدْ شَتَمَ هذا، وقَذَفَ هذا، وأَكَلَ مالَ هذا، وسَفَكَ دَمَ هذا، وضَرَبَ هذا، فيُعْطَى هذا مِن حَسَناتِهِ، وهذا مِن حَسَناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُهُ قَبْلَ أنْ يُقْضَى ما عليه أُخِذَ مِن خَطاياهُمْ فَطُرِحَتْ عليه، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ ".**

وها هو النبي ﷺ مع كونه أشرف الخلق، وحبيب الحق سبحانه، وخير من تنفس الهواء، وخير من وطئ الحصى، ومع هذا فهو خائف أن يلقى الله وعليه مظلمة لأحد. ***فكان يقول*** ﷺ: " **وإنِّي لأرجو أن ألقَى اللَّهَ وليسَ أحدٌ منكُم يطالبُني بمَظلمةٍ في دمٍ ولا مالٍ** ". (رواه الإمام أحمد والترمذي)

– ***وفي رواية:*** " **وإنِّي لأرجو أن ألقى ربِّي وليسَ أحدٌ منْكم يطلُبني بمظلِمةٍ في دمٍ ولا مالٍ** ".

(أخرجه أبو داود والترمذي واللفظ له وابن ماجه وأحمد عن أنس بن مالك ﷺ) (صحيح الترمذي: ١٣١٤)

أخي الحبيب... إن أردت أن تعيش عيشة هنية، وحياة مرضية، مرتاح الخاطر، وهادئ البال، فعليك بما يلي:

أولًا: القناعة، وأن ترضى بما قسمه الله لك:

فالقناعة بما قسمه الله تعالى كنز لا يفنى، حتى لو كان رزق الإنسان قليلًا، لكنه يشعر بأنه يملك الدنيا بحذافيرها.

فقد أخرج الترمذي واللفظ له وابن ماجه عن عبيد الله بن محصن ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **مَن أصبحَ منكم آمنًا في سربِهِ[١]، مُعافًى في جسدِهِ عندَهُ قوتُ يومِهِ، فَكَأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا[٢]** ".

(صحيح الترمذي: ٢٣٤٦)

– ***وفي رواية:*** " **من أصبحَ معافًى في بدنِه، آمنًا في سِربِه، عندَه قوتُ يومِه، فَكأنَّما حيزت لَهُ الدُّنيا بحذافيرِها** ".

فالإنسان منا إذا كان آمنًا في نفسه أو مع قومه ومعافى في بدنه، وعنده ما يكفيه ويسد حاجته فهو في نعمة ما بعدها من نعمة، ***وقد كان النبي*** ﷺ ***يسأل الله هذه النعمة فكان يقول:*** " **اللَّهمَّ اجعل رِزقَ آلِ محمَّدٍ قوتًا[٣]** ". (أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ)

– ***وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله*** ﷺ: " **اللَّهُمَّ اجعَلْ رِزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتًا** ".

والقُوتُ: ما يسُدُّ الرَّمَقَ، والمرادُ به الكَفافُ مِنَ العَيشِ، فلا يطغَون بالإكثارِ، ولا يحسُدهم أهلُ الدُّنيا في أرزاقِهم؛ إذا رآهم الفقيرُ استَعمَلَ الرِّضا، وإذا رآهم الغنيُّ استَحْيا؛ فطَلَبَ النَّبيُّ ﷺ الكَفَافَ؛ فإنَّ القُوتَ: ما يَقُوتُ البَدَنَ، ويَكُفُّ عنِ الحاجةِ، وفي هذه الحالةِ سَلَامةٌ مِن آفاتِ الغِنَى والفَقْرِ جميعًا.

---

١ ـ آمنًا في سِرْبِه: أي توفَّر له الأمانُ على نفْسِه أو على أهلِه وجَماعتِه، وقيل: السِّربُ هو السَّبيلُ أو الطَّريقُ، وقيل: البيتُ.

٢ ـ فكأنَّما حِيزَتْ له الدُّنيا: أي: فكأنَّما مَلَكَ الدُّنيا وجمَعها كلَّها؛ فمَن توَفَّر له الأمانُ والعافيةُ والرِّزقُ لا يَحتاجُ إلى شيءٍ بعدَ ذلك، فكان كمَن ملَكَ الدُّنيا، وجمَعها، فلا يَحتاجُ إلى شيءٍ آخَرَ، وعلى العبدِ أنْ يحْمَدَ اللهَ تعالى ويشْكرَه على هذه النِّعمِ.

٣ ـ فائدة: جاء في رواية في صحيح البخاري قول النبي ﷺ:" اللَّهمَّ ارزُقْ آلَ محمَّدٍ قُوتًا"، وفي روايةٍ مُسلمٍ:" اللَّهمَّ اجعَلْ رِزقَ آلِ محمَّدٍ قُوتًا: وهذه الرواية غير الأولى؛ وذلك لأنَّ اللَّفظَ الأوَّلَ صالحٌ لأن يكونَ دُعاءً بطَلَبِ القُوتِ في ذلك اليَومِ، بخلافِ اللَّفظِ الثَّاني، فهو دالٌّ على الكَفافِ على مُطلَقِ الأيَّامِ.

قال ابنُ حَجَرٍ-رحمه الله-: " أي: اكْفِهم من القوتِ بما لا يُرهِقُهم إلى ذُلِّ المسألةِ، ولا يكونُ فيه فُضولٌ تبعَثُ على التَّرفُّهِ والتَّبسُّطِ في الدُّنيا. وفيه حُجَّةٌ لِمن فَضَّل الكَفافَ؛ لأنَّه إنَّما يدعو لنَفسِه وآلِه بأفضَلِ الأحوالِ ". (فتح الباري: ٢٧٥/١١).

وقال النَّوويُّ-رحمه الله-: " قال أهلُ اللُّغةِ العَرَبيَّةِ: القُوتُ: ما يَسُدُّ الرَّمَقَ، وفيه فضيلةُ التَّقلُّلِ من الدُّنيا، والاقتصارِ على القُوتِ منها، والدُّعاءُ بذلك ". (شرح النووي على صحيح مسلم: ١٤٦/٧).

وأخرج الإمام مسلم من حديث عبدِ اللهِ بنِ عَمرٍو-رَضِيَ اللهُ عنهما- أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: **" قد أفلَح من أسلَمَ، ورُزِقَ كَفافًا، وقَنَّعه اللهُ بما آتاه ".**

وقال المُناويُّ-رحمه الله-: " **رُزِق كَفافًا**: أي قنَّعه اللهُ بالكَفافِ، فلم يَطلُبِ الزِّيادةَ ". (فيض القدير:٥٠٨/٤).

وقال المُبارَكْفوريُّ-رحمه الله-: " **كَفافًا**": أي ما يَكُفُّ من الحاجاتِ، ويدفَعُ الضَّروراتِ." **وقنَّعه اللهُ** " أي: جعَله قانعًا بما آتاه ". (التيسير بشرح الجامع الصغير للمناوي:٢/ ١٩٣) (تحفة الأحوذي للمباركفوري:٥٠٨/٤).

وقال القُرطبيُّ-رحمه الله-: " معنى هذا الحديثِ: أنَّ مَن فَعَل تلك الأمورَ واتَّصف بها، فقد حَصَل على مطلوبِه، وظَفِر بمرغوبِه في الدُّنيا والآخِرةِ ". (المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم: ٩٩/٣).

- ***وأخرج الإمام أحمد والترمذي من حديث فَضَالَةَ بنِ عُبَيدٍ ﷺ أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال:*** **" طُوبى لمن هُدِيَ إلى الإسلامِ، وكان عَيشُه كَفافًا وقَنِعَ به ".** (صحيح سنن الترمذي: ٢٣٤٩).

وقوله ﷺ: " **وكان عيشُه كَفافًا**" أي: بقَدرِ كفايتِه، لا يَشغَلُه ولا يُطغيه ". (التيسير للمناوي:١١٨/٢).

ولله در القائل:

النفس تجزع أن تكون فقيرة ... والفقر خير من غنى يطغيها

وغنى النفوس هو الكفاف فإن ... أبت فجميع ما في الأرض لا يكفيها

هي القناعة فالزمها تكن ملكًا ... لو لم تكن لك إلا راحة البال

وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها ... هل راح منها بغير الطيب والكفن

١- ***قال عبدُ اللهِ بنُ عَبَّاسٍ- رَضِيَ اللهُ عنهما-:*** " **القناعةُ مالٌ لا نفادَ له ".**

(ذكره ابن عبد ربه في العقد الفريد: ١٦٠/٣).

٢- ***وقال سعدُ بنُ أبي وقَّاصٍ ﷺ لابنِه:*** " **يا بُنَيَّ! إذا طلَبْتَ الغِنى فاطلُبْه بالقناعةِ؛ فإنَّه من لم يكُنْ له قناعةٌ لم يُغْنِه مالٌ ".** (وابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٦٣/٢٠).

٣- ***وقال زينُ العابدينَ عليُّ بنُ الحسينِ- رَضِيَ اللَّهُ عنهما-:*** " مَن قنِع بما قسَم الله له فهو مِن أغنَى النَّاسِ ". (حلية الأولياء لأبي نعيم:٣/ ١٣٥).

٤- ***وقال عُمَرُ بنُ عبدِ العزيزِ-رحمه الله-:*** " الفِقهُ الأكبَرُ: القناعةُ، وكَفُّ اللِّسانِ ".

(أدب المجالسة وحمد اللسان لابن عبد البر ص: ٨٧).

٥- ***وقال بكرُ بنُ عبدِ اللهِ المُزَنيُّ-رحمه الله-:*** " يكفيك من الدُّنيا ما قَنِعْتَ به، ولو كَفَّ تمرٍ، وشَربةَ ماءٍ، وظِلَّ خِباءٍ، وكلَّما انفتَح عليك من الدُّنيا شيءٌ ازدادت نفسُك به تعَبًا! ".

(القناعة والتعفف لابن أبي الدنيا ص: ٦٢)

٦- ***وقال أبو سُليمانَ الدَّارانيُّ-رحمه الله-:*** " إنَّ قومًا طلَبوا الغِنى فحَسِبوا أنَّه في جمعِ المالِ، ألا وإنَّما الغِنى في القناعةِ، وطلَبوا الرَّاحةَ في الكثرةِ، وإنما الرَّاحةُ في القِلَّةِ، وطلَبوا الكرامةَ من الخَلقِ، ألا وهي في التَّقوى، وطلَبوا النِّعمةَ في اللِّباسِ الرَّقيقِ واللَّيِّنِ وفي طعامٍ طيِّبٍ، والنِّعمةُ في الإسلامِ السَّترُ والعافيةُ"

(الزهد الكبير للبيهقي ص: ٨٠)

٧- ***وقال أبو جعفرٍ أحمدُ بنُ أبي سليمانَ الصوَّافُ-رحمه الله-:*** " ليس شيءٌ أروحَ على الإنسانِ مِن الزُّهدِ في الدُّنيا. ولا للقلوبِ أروحَ مِن القناعةِ ". **(ترتيب المدارك للقاضي عياض:٤/ ٣٦٩)**.

٨- ***وقال ابنُ حبَّانَ-رحمه الله-:*** " مِن أكثَرِ مواهِبِ اللهِ لعبادِه وأعظَمِها خطَرًا القناعةُ، وليس شيءٌ أروَحَ للبدَنِ من الرِّضا بالقضاءِ، والثِّقةِ بالقَسْمِ، ولو لم يكُنْ في القناعةِ خَصلةٌ تُحمَدُ إلَّا الرَّاحةُ، وعدمُ الدُّخولِ في مواضِعِ السُّوءِ لطَلَبِ الفَضلِ، لكان الواجِبُ على العاقِلِ ألَّا يفارِقَ القناعةَ على حالةٍ من الأحوالِ ". (روضة العقلاء ص: ١٥٧).

٩- ***وقال ابنُ الجوزيِّ-رحمه الله-:*** " من قَنِع طاب عَيشُه، ومن طَمِع طال طَيشُه ".

(تذكرة الحفاظ للذهبي:٤/ ٩٤)

ثانيًا: ومما يعينك على الرضا والقناعة: أن تنظر إلى من هو دونك من أهل الدنيا:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" انْظُرُوا إلى مَن أسْفَلَ مِنكُمْ، ولا تَنْظُرُوا إلى مَن هو فَوْقَكُمْ، فَهو أجْدَرُ أنْ لا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ علَيْكُم ".**

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا نَظَرَ أحَدُكُمْ إلى مَن فُضِّلَ عليه في المالِ والخَلْقِ، فَلْيَنْظُرْ إلى مَن هو أسْفَلَ منه ".**

يقول عون بن عبد الله بن عتبة-رحمه الله-: " صحبت الأغنياء فلم أر أحدًا أكثر همًّا مني، أرى دابة خيرًا من دابتي، وثوبًا خيرًا من ثوبي، وصحبت الفقراء فاسترحت ".

ثالثًا: وما يعينك على الرضا والقناعة: أنك تعلم أن هذه الدنيا دار اختبار وامتحان:

وأنها دار ممر إلى دار المستقر، وأنها أيام قلائل ثم موت، وبعد الموت حساب، وبعد الحساب جنة نعيمها مقيم أو نار عذابها أليم.. نسأل الله الجنة، ونعوذ به من النار.

وفي صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كيفَ تَعْمَلُونَ[1]، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا[2]، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ في النِّسَاءِ ".

وقد جاء في الحديث القدسي الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي ذر جندب بن جنادة ﷺ عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تعالى قال:" ... يا عِبَادِي، إنَّما هي أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فمَن وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَن وَجَدَ غيرَ ذلكَ فلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ ".

وقال بعضهم:

إنما الدنيا إلى الجنة والنار طريق والليالي متجر الإنسان والأيام سوق

أقول لمن يجمع المال من الحرام:

يا جامع المال والمجتهد في البنيان.. ليس من مالك إلا الأكفان، بل هو للخراب، وجسمك للتراب.

فأين الآمال.. أين ما جمعته من مال.. هل أنقذاك من الأهوال؟ بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك.

رابعًا: مما يعينك على تحري الحلال والبعد عن الحرام هو تذكر مشهد الوقوف بين يدي الله تعالى:

لك أن تتخيل أخي الحبيب مشهد الناس وهم وقوف في أرض المحشر حفاة، عراة، غرلًا، والشمس فوق الرؤوس بقدر ميل أو ميلين، وأحاطت الملائكة بالناس في ساحة القضاء الإلهي، وهنا يتجلى الملك سبحانه وتعالى في ساحة العرض، ويأتي إتيانًا يليق به سبحانه وتعالى وتضئ أرض المحشر بنوره، **كما قال تعالى:** ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (الزمر:٩٩) وفي هذا الموقف العصب ترى القلوب قد صعدت إلى الحناجر من شدة الخوف وشخصت الأبصار، وخشعت الأصوات، فلا تسمع إلا همسًا، **كما قال تعالى:** ﴿وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا﴾ (طه: ١٠٨).

١- وفي رواية: لِيَنْظُرَ كيفَ تَعْمَلُونَ.

٢- فاتَّقُوا الدُّنيا: أي احْذَروا أنْ يَخدَعَكم مَتاعُ الدُّنيا وزِينتُها، فتَحمِلَكم على تَركِ ما أمَرَكم اللهُ به، والوقوعِ فيما نَهاكُم عنه، كما قال تَعالَى: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ (لقمان: ٣٣).

ومع هذا الخوف الشديد، والصمت الرهيب ينادي على اسمك من بين الخلائق؛ أين فلان بن فلان؟، فيلقى الله على رُوعك أنك أنت المقصود، فتقبل على عرش الواحد الريان، ليس بينك، وبينه ترجمان، ***كما جاء عند البخاري ومسلم من حديث عدي بن حاتم ﷺ أن النبي ﷺ قال:*** **" ما منكم من أحدٍ إلا سيُكلِّمُه اللهُ يومَ القيامةِ، ليس بينه وبينه تَرجمانُ، فينظرُ أيْمنَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ أشأَمَ منه، فلا يرى إلا ما قدَّم، وينظرُ بين يدَيه، فلا يرى إلا النَّارَ تِلقاءَ وجهِه، فاتَّقوا النَّارَ، ولو بشِقِّ تمرةٍ، ولو بكلمةٍ طيِّبةٍ ".**

فلنعلم جميعًا أننا سنقف هذا الموقف، فانظر يا من جمعت المال من الحرام بأي قدم ستقف بين يديه سبحانه، وبأي عين ستنظر إليه، وبأي لسان ستجيب عندما يسألك عن قبيح فعلك، وعظيم جرمك، وسيسألك عن هذا المال من أين اكتسبته وفيما أنفقته، ولا تتصرف من أمامه سبحانه حتى تجيب عن ***هذه الأسئلة التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث الذي أخرجه الترمذي من حديث عبد الله بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ:*** **" لَا تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلَاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ، وَفِيمَا أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ؟ ".**

– *وفي رواية عند الترمذي والدارمي عن أبي برزة الأسلمي نضلة بن عبيد ﷺ عن النبي ﷺ قال:* **" لا تزولُ قدَمَا عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأَلَ عن أربَعٍ: عن عُمُرِه فيما أفناه ، وعن جَسَدِه فيما أبلاه ، وعن عِلْمِه ما عَمِلَ فيه، وعن مالِه مِن أين كَسَبَه وفيما أنفَقَه ".** (صحيح الجامع: ٧٣٠٠)

– *وفي رواية:* **" لا تَزولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القيامةِ، حتَّى يُسأَلَ عن عُمُرِه؛ فيمَ أفناه؟ وعن عِلْمِه؛ فيم فعَلَ فيه؟ وعن مالِه؛ من أين اكتسَبَه؟ وفيم أنفَقَه؟ وعن جِسمِه؛ فيمَ أبلاه؟".**

(صحيح الجامع: ٧٢٩٩) (الصحيحة: ٩٤٦٠)

قال أحدهم:

أيا عبد كم يراك الله عاصيًا ... حريصاً على الدنيا وللموت ناسيًا
أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ... ويوماً عبوسًا تشيب فيه النواصي
إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى ... تجرد عريانًا ولو كان كاسيا
ولو كانت الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حيًّا وباقيا
ولكنها تفنى ويفنى نعيمها ... وتبقى الذنوب والمعاصي كما هي

فينبغي أن يُترك الحرام حياءً من الله تعالى:

فقد أخرج الترمذي واللفظ له وأحمد من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: " استَحيوا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ، قُلنا: يا رسولَ اللَّهِ! إنَّا لنَستحيي والحمد لله، قالَ: ليسَ ذاكَ، ولَكِنَّ الاستحياءَ منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ أن تحفَظَ الرَّأسَ[1]وما وَعى[2]، وتحفَظَ البَطنَ[3] وما حوَى[4]، ولتَذكرِ الموتَ والبِلى[5]، ومَن أرادَ الآخرةَ ترَكَ زينةَ الدُّنيا، فمَن فَعلَ ذلِكَ فقدَ استحيا منَ اللَّهِ حقَّ الحياءِ ".

(صحيح الترمذي: ٢٤٥٨)

أخي الحبيب: إذا أردت أن تنجو بنفسك فعليك أن تبتعد عن الحرام، ولا يدخل في جوفك إلا الحلال الطيب فهو خير معين على العمل الصالح. فإن الله تعالى طيبٌ لا يقبل إلا طيبًا، وقد أمر الرسل بالأكل من الطيبات التي هي الحلال قبل الأمر بالعمل، **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون:٥١)

قال ابن كثير–رحمه الله– في تفسير هذه الآية:" يأمر الله تعالى عباده المرسلين–عليهم الصلاة والسلام أجمعين– بالأكل من الحلال، والقيام بالعمل الصالح من الأعمال، فدل هذا على أن الحلال عون على العمل الصالح ". اهـ

- **وقد أمر الله تعالى المؤمنين بما أمر به المرسلين من أكل الحلال وتحريه.**

كما مر بنا في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: " أيُّها النَّاسُ، إنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لا يَقْبَلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللَّهَ أمَرَ المُؤْمِنِينَ بما أمَرَ به المُرْسَلِينَ، فقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ (المؤمنون:٥١)، وقالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾ (البقرة:١٧٢)، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أشْعَثَ أغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إلى السَّماءِ، يا رَبِّ، يا رَبِّ، ومَطْعَمُهُ حَرامٌ، ومَشْرَبُهُ حَرامٌ، ومَلْبَسُهُ حَرامٌ، وغُذِيَ بالحَرامِ، فأنَّى يُسْتَجابُ لذلكَ؟!

قال القرطبي–رحمه الله– تعليقًا على هذا الحديث: " سوى الله تعالى بين النبيين والمؤمنين في الخطاب بوجوب أكل الحلال وتجنب الحرام، ثم شمل الكل في الوعيد الذي تضمنه قوله تعالى: ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ صلى الله على رسله وأنبيائه، وإذا كان هذا معهم، فما ظن كل الناس بأنفسهم". اهـ

وإذا كان طلب الحلال أمرًا لازمًا في كل وقت، وفي أي زمان، فإنه في هذا الزمان أشد لزومًا، لانتشار الجهل، وقلة العلم، واشتباه الأمور على الناس.

١- أن تَحفَظَ الرَّأسَ: بألَّا تَستَعمِلَه في غيرِ طاعةِ اللهِ، فلا تَسجُدَ ولا تَخضَعَ إلَّا للهِ، ولا تَرفَعَه تَكبُّرًا على خَلقِ اللهِ.

٢- وما وَعى: أي مِن الجوارِحِ الظَّاهِرةِ والباطنةِ؛ كالعَينَينِ والأُذنَينِ واللِّسانِ، بألَّا تَعصِيَ بهذه الجوارِحِ، فتَحفَظَ بَصَرَك عن النَّظَرِ إلى الحرامِ، وتَحفَظَ أُذنَك عن سَماعِ الحرامِ، وتَحفَظَ لِسانَك عَنِ التَّكلُّمِ بالحرامِ.

٣- وتَحفَظَ البَطنَ: عن أكلِ الحرامِ، والبطنُ تَشمَلُ كلَّ ما هو باطنٌ ومُستتِرٌ وما يتَّصِلُ بها مِن أعضاءٍ.

٤- وما حَوى: أي ما اتَّصَلَ بالبطنِ مِن الجوارِحِ الظَّاهِرةِ والباطنةِ، كالقلبِ واليدَينِ والرِّجلَينِ، فيَحفَظُها عن المعاصي، ويفعَلُ بها الطَّاعاتِ.

٥- البِلَى: أي تَذكر ما بعدَ الموتِ بأن تصيرَ عِظامًا باليةً رَميمةً مُتفتِّتةً.

واعلم أخي الحبب أن سعيك للرزق الحلال جهاد في سبيل الله

فالحرام ربما يأتي بغير تعب أو مشقة، أما الحلال فإنه يأتي بمشقة ومثابرة وتعب، وهذه المشقة، وهذا التعب هو نوع من أنواع الجهاد في سبيل الله كما أخبر بهذا الحبيب النبي ﷺ ***فقد أخرج الطبراني في معاجمه الثلاثة عن كعب بن عجرة ﷺ قال:*** " مر على النبيِّ ﷺ رجلٌ فرأى أصحابُ النبيِّ ﷺ من جلَدِه ونشاطِه فقالوا: يا رسولَ اللهِ لو كان هذا في سبيلِ اللهِ؟! فقال رسولُ اللهِ ﷺ:" إنْ كان خرج يسعى على ولدِه صغارًا فهو في سبيلِ اللهِ وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيلِ اللهِ وإنْ كان خرج يسعى على نفسِه يعفُّها فهو في سبيلِ اللهِ وإنْ كان خرج يسعى رياءً ومفاخرةً فهو في سبيلِ الشيطانِ ". (صححه الشيخ الألباني بمجموع طرقه، وقال مرّة: سنده جيد، لكن الراجح ضعفه)

تحرى السلف أكل الحلال، والبعد كل البعد عن الحرام

أبو بكر الصديق ﷺ:

تقول عائشة-رضي الله عنها- كما في صحيح البخاري: كانَ لأبِي بَكْرٍ ﷺ غُلَامٌ يُخْرِجُ له الخَرَاجَ[1]، وكانَ أبو بَكْرٍ ﷺ يَأْكُلُ مِن خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بشَيءٍ، فأكَلَ منه أبو بَكْرٍ ﷺ، فَقالَ له الغُلَامُ: أتَدْرِي ما هذا؟ فَقالَ أبو بَكْرٍ ﷺ: وما هُوَ؟ قالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ[2] لِإنْسَانٍ في الجَاهِلِيَّةِ، وما أُحْسِنُ الكِهَانَةَ، إلَّا أنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فأعْطَانِي بذلكَ؛ فَهذا الذي أكَلْتَ منه. فأدْخَلَ أبو بَكْرٍ ﷺ يَدَهُ، فَقَاءَ كُلَّ شيءٍ في بَطْنِهِ ".

- ***وفي رواية عند الطبراني عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ:*** ... فَأَدْخَلَ أبو بَكْرٍ ﷺ يَدَهُ فِي حَلْقِهِ، وَجَعَلَ يَتَقَيَّأُ، وَجَعَلَتْ لَا تَخْرُجُ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ هَذِهِ لَا تَخْرُجُ إِلَّا بِالْمَاءِ، فَدَعَا بِطَسْتٍ مِنْ مَاءٍ فَجَعَلَ يَشْرَبُ وَيَتَقَيَّأُ حَتَّى رَمَى بِهَا، فَقِيلَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ؛ كُلُّ هَذَا مِنْ أَجْلِ هَذِهِ اللُّقْمَةِ؟ قَالَ: لَوْلَا تَخْرُجُ إِلَّا مَعَ نَفْسِي لَأَخْرَجْتُهَا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:" كُلُّ جَسَدٍ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ "، فَخَشِيتُ أَنْ يَنْبُتَ شَيْءٌ مِنْ جَسَدِي مِنْ هَذِهِ اللُّقْمَةِ ". رضي الله عن خليفة رسول الله ﷺ.

عمر بن الخطاب ﷺ:

يقول قتادة-رحمه الله-: " كان معيقيب على بيت مال المسلمين في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، فكسح معيقيب بيت المال يومًا فوجد فيه درهمًا، فدفعه إلى ابنٍ لعمر، قال معيقيب: فانصرفت إلى بيتي، فإذا رسول عمر قد جاءني يدعوني، فجئت، فإذا الدرهم في يده فقال لي: ويحك يا معيقيب، أوجدت علي في نفسك شيئًا؟ قال: قلت: ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أردت أن تخاصمني أمة محمد ﷺ في هذا الدرهم يوم القيامة؟".

١- خَراجُ العبدِ هو: الضَّريبةُ الَّتي يتَّفِقُ العبدُ مع سيِّدِه على إخْراجِها له، وأدائِها إليه في كلِّ يومٍ، أو كلِّ شَهرٍ.
٢- الكِهانةُ: هي الإخْبارُ بالغَيبِ مِن غيرِ طَريقٍ شَرعيٍّ، وكانت كَثيرًا في الجاهِليَّةِ.

ثابت بن إبراهيم -رحمه الله- :

يمرُّ ثابتٌ على بستانٍ من البساتين، وكان قد جاع حتى أعياه الجوع، فوجد تفاحةً ساقطة منه، فأكل منها النصف، ثم تذكَّر أنها لا تحلُّ له؛ إذ ليست من حقِّه، فدخل البستان فوجد رجلاً جالسًا فقال له: أكلتُ نصف تفاحةٍ فسامحني فيما أكلتُ وخُذِ النصف الآخَر، فقال الرجل: أمَا إنِّي لا أملك العفو ولكن اذهب إلى سيدي فالبستان ملكٌ له، قال: أين هو؟ قال: بينك وبينه مسيرة يوم وليلة، قال: لأذهبنَّ إليه مهما كان الطريق بعيدًا؛ فالنبيُّ ﷺ قال:" **كلُّ لحمٍ نبت من سُحْتٍ فالنار أَوْلَى به**"، حتى وصَل إلى صاحب البستان، فلمَّا دخَل عليه وقصَّ عليه القصص قال صاحب البستان: والله لا أسامحك إلا بشرطٍ واحد. فقال ثابت: خُذْ لنفسك ما رضيت من الشروط. فقال: تتزوَّج ابنتي، ولكن هي صماء عمياء بكماء مُقعدة. فقال ثابت: قبلت خطبتها، وسأُتاجر فيها مع ربي ثم أقوم بخِدمتها، وتَمَّ عقد الزواج فدخل ثابت لا يعلم هل يلقي السلام عليها أو يسكت، ولكنَّه آثر إلقاء السلام لتردَّ عليه الملائكة، فلمَّا ألقى السلام وجدها تردُّ السلام عليه، بل وقفت وسلمت عليه بيدها فعلم أنها ليست كما قال الأب، فسألها فقالت: إنَّ أبي أخبرك بأنِّي عمياء فأنا عمياء عن الحرام فلا تنظر عيني إلى ما حرَّم الله، صمَّاء من كلِّ ما لا يرضي الله، بكماء لأنَّ لساني لا يتحرَّك إلا بذِكر الله، مقعدة لأنَّ قدمي لم تحملني إلى ما يغضب الله، ونظر ثابت إلى وجهها فكأنَّه القمر ليلة التمام، ودخل بها وأنجب منها مولودًا ملأ طباق الأرض علمًا"، إنه الفقيه أبو حنيفة النُّعمان، فمن نسل الورع والأمانة جاء الفقيه ".

المبارك - رحمه الله- :

كان المبارك عبدًا رقيقًا يشتغلُ أجيرًا عند صاحب بستان، وفي ذات يومٍ خرَج صاحبُ البستان مع أصحابٍ له إلى البستان وقال للمُبارك: ائتِنا برمَّان حلو، فقطف المبارك رمانات ثم قدَّمَها إليهم، فإذا هي حامضةٌ، فقال صاحب البستان: أنت ما تعرف الحلو من الحامض؟ قال المبارك: لم تأذَنْ لي أنْ آكُل حتى أعرف الحلو من الحامض، فقال له: أنت من كذا وكذا سنة تحرسُ البستان وتقول هذا! وظَنَّ أنَّه يخدعه، فسأل الجيران، فقالوا: ما أكَل رمانة واحدة. فقال له صاحب البستان: يا مبارك، أريد أنْ أستشيرَك في أمر هام، إنَّني ليس عندي إلا ابنة واحدة، فلمَن أُزوِّجها؟ فقال له: يا سيِّدي، لقد كان اليهود يُزوِّجون للمال، والنصارى يُزوِّجون للجمال، والعربُ يُزوِّجون للحسَب، والمسلمون يُزوِّجون للتَّقوى، فمن أيِّ الأصناف أنت زوج ابنتك للصِّنف الذي أنت منه. فقال: والله لا أُزوِّجها إلا على التقوى، وما وجدت إنسانًا أتقى لله منك فقد أعتقتُك وزوَّجتك ابنتي".

سبحان الله! عَفَّ المبارك عن رمَّانةٍ من البستان فسِيق إليه البستانُ وصاحبته، والجزاء من جِنس العمل. ومَن ترَك شيئًا لله عوَّضَه الله خيرًا منه!

ومن هذا البيتِ خرَج عبد الله بن المبارك الذي ملأ الدنيا عِلمًا ووَرَعًا، وكان يقولُ: لأنْ أردَّ درهمًا من شُبهةٍ خيرٌ لي من أنْ أتصدَّق بمائة ألف دِرهم ومائة ألف درهم، حتى عَدَّ ستمائة ألف درهم، **وصدَق الله حيث قال:** ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ (الأعراف: ٥٨)

فرحمة الله على الرعيل الأول: وقد كانت المرأة قديمًا تقف خلف الباب مودعة زوجها عند ذهابه للعمل ثم توصيه وتقول له: اتق الله فينا، لا تطعمنا حرامًا، فإننا نصبر على الجوع ولا نصبر على حر جهنم".

ترك الشبهات

أخي الحبيب: يا من وقعت في الحرام وذقت مرارته، إذا فتح الله قلبك لهذه الكلمات وعزمت من الآن على ترك الحرام والتحلل منه، فأنا أريد أن أرتقي بك إلى درجة أعلى، ألا وهي: ترك الشبهات، ***وقد مر بنا قول عبد الله بن المبارك-رحمه الله-حيث قال:*** " لئن أرد درهمًا من شبهة خيرٌ لي من أن أتصدق بمائة ألف درهم ومائة ألف درهم حتى عد ستمائة ألف درهم ".

فهذا حال السلف الكرام: لا يكتفون بترك الحرام فقط بل كانوا لا يقربون الشبهات لأن من وقع في الشبهات حتمًا سيقع في الحرام ومن ترك ما يشتبه عليه من الإثم، كان لما استبان إثمه أترك. وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ.

ففي الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث النعمان بن بشير ﷺ أن النبي ﷺ قال: " **إنَّ الحلالَ بيِّنٌ وإنَّ الحرامَ بيِّنٌ وبينهما أمورٌ مُشتبِهاتٌ لا يعلمهنَّ كثيرٌ من الناس فمنِ اتَّقى الشُّبُهاتِ استبرأ لدِينِه وعِرضِه، ومن وقع في الشُّبهاتِ وقع في الحرامِ، كالراعي يرعى حول الحِمى يوشكُ أن يرتعَ فيه، ألا وإنَّ لكلِّ ملكٍ حمًى، ألا وإنَّ حمى اللهِ محارمُه، ألا وإنَّ في الجسدِ مُضغةً إذا صلُحتْ صلُح الجسدُ كلُّه وإذا فسدتْ فسد الجسدُ كلُّه ألا وهي القلبُ** ".

- *وأخرجه الإمام أحمد والطبراني بلفظ:* " **اجعلوا بينَكمْ وبينَ الحرامِ سترة من الحلال، مَنْ فعلَ ذلكَ استبرأَ لعرضِهِ ودينِهِ، ومَنْ أَرْتَعَ فيهِ، كانَ كالمرتعِ إلى جنبِ الحِمَى، يوشكُ أنْ يقعَ فيهِ، وإنَّ لكلِّ مَلِكٍ حِمَى، وإنَّ حِمَى اللهِ في الأرضِ محارمَهُ** ".

ففي هذا الحديث ضرب النبي ﷺ مثلا شبه منه هذا الذي لا يتورع عن الشبهات بالراعي الذي يرعى حول حمى حماة أحد الملوك، ومنع من الرعي فيها، فإن الراعي إذا سمح لدوابه أن ترعى قريبًا من حدود هذا الحمى، فإنه لا يأمن أن تدخل في الحمى، وترعى فيه فيعاقبه الملك، وكذلك فإن الله سبحانه له حمى منع الدخول فيه، وهو ما حرمه على عباده فمن قارب حمى الله بتناول المشتبهات، وقع في حمى المحرمات وحلت عليه العقوبات، والله سبحانه حمى هذه المحرمات وسماها حدوده **فقال تعالى:**

﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾. (أي لا تقربوا المحرمات التي حرمها الله).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ (الأنعام: ١٥١)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا﴾ (الإسراء: ٣٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ (الإسراء: ٣٤)

فالأتقياء الأنقياء يتورعون عن الشبهات وعما يرتابون فيه مما ليس حلالًا بينا وذلك أدعى أن يتورعوا عن الحرام البين، ومن اجترأ على الشبهة اجترأ على الحرام لما جاء في رواية البخاري:" **فمن ترك ما يشتبه عليه من الإثم، كان لما استبان أترك**". يعني من ترك الإثم مع اشتباهه عليه فهو أولى بتركه إذا استبان أنه إثم.

قال الحافظ ابن حجر-رحمه الله-في شرحه للحديث السابق: " الحلالُ بيِّن لا يحتاج إلى بيانه، ويشترك في معرفته كل أحد، وكذلك الحرام بيِّن لا يحتاج إلى بيانه، ويشترك في معرفته كلُّ أحد، وبينهما مشتبهات، مشتبه لخفائه فلا يدري هل هو حلال أو حرام، وما كان هذا سبيله ينبغي اجتنابه لأنه إن كان في نفس الأمر حرامًا فقد برئ من تبعته، وإن كان حلالًا فقد أجر على تركه بهذا القصد ". اهـ

وقال البغوي-رحمه الله- كما في شرح السنة: " هذا الحديث أصل في الورع، وهو أن ما اشتبه على الرجل أمره في التحليل والتحريم ولا يعرف له أصل متقدم، فالورع أن يجتنبه ويتركه، فإنه إذا لم يجتنبه واستمر عليه واعتاده جره ذلك إلى الوقوع في الحرام ". اهـ

- **والنبي ﷺ وضع لنا أصلًا نمشي عليه، ووضح لنا كيفية الخروج من مثل هذا:**

فقد أخرج الترمذي وأحمد والنسائي من حديث الحسن بن علي بن أبي طالب- رضي الله عنهما- أن النبي ﷺ قال: " **دع ما يَرِيبكَ إلى ما لا يَرِيبُكَ** [١]، **فإنَّ الصِّدقَ طُمأنينةٌ** [٢] **وإنَّ الكذبَ رِيبةٌ** [٣] ".

(صحيح الترمذي: ٢٥١٨) (صحيح الجامع:٣٣٧٨)

١- دَعْ ما يَرِيبُك إلى ما لا يَرِيبُك: أي: اترُكْ واستَغْنِ عمَّا تَشُكُّ فيه مِن أمورٍ لم تَسكُنْ إليها نَفسُك إلى ما لا تَشُكُّ فيه، فتَطْمئِنَّ لها نَفسُك، وتَبعُدَ عن الشَّكِّ والوَساوس؛ فإنَّ الاحترازَ عن الشُّبهاتِ استِبْراءٌ للدِّين، والاعتدادَ بالوساوسِ إفسادٌ له.

٢- فإنَّ الصِّدقَ طُمَأنينةٌ: أي: إنَّ الصِّدقَ والخيرَ والحقَّ يَسكُنُ إليه القلبُ ويَرْتاحُ به.

٣- وإنَّ الكَذِبَ رِيبةٌ: أي: إنَّ غيرَ الحقِّ يَجعَلُ القلبَ مُضطرِبًا، غيرَ مطمئِنٍّ؛ نَتيجةَ الشَّكِّ الَّذي به.

وأخرج الإمام مسلم عن النواس بن سمعان الأنصاري قالَ: سألت النبي ﷺ عَنِ البِرِّ وَالإِثْمِ، فَقال ﷺ:
" البِرُّ حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ ما حَاكَ في نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ ".

فقد بَيَّن النَّبيُّ ﷺ أنَّ الإثمَ هو ما تَردَّدَ وتحرَّكَ وأَثَّرَ في النَّفْسِ بأنْ لم تَنشرِحْ له، وحلَّ في القلبِ منه الشَّكُّ والخوفُ مِن كونِه ذَنْبًا وأَقْلَقَه ولَمْ يَطمئِنَّ إليه، وكَره أنْ يَطَّلِعَ عليه النَّاسُ؛ لأنَّه محلُّ ذمٍّ وعَيْبٍ، فَتجدُك مُتردِّدًا فيه، وتكرَهُ أنْ يطَّلِعَ النَّاسُ عَليكَ.
وهذه الجُملةُ إنَّما هي لِمَنْ كانَ قَلبُه صافيًا سليمًا؛ فهذا هو الَّذي يَحُوكُ في نَفسِه ما كان إثمًا ويَكرهُ أنْ يطَّلِعَ عليه النَّاسُ، أمَّا مَن فَسَد قَلبُه وانتَكَسَت فِطرتُه، فقدْ يَنشرِحُ صَدرُه للآثامِ، ويُجاهِرُ بها.

وأخرج ابن حبان من حديث الحسن بن علـيّ بن أبي طالب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" الخيرُ طُمأنينةٌ والشَّرُّ رِيبةٌ ".** (صحيح ابن حبان: ٧٢٢)

وأخرج ابن حبان من حديث الحسن بن علـيّ ﷺ قال: **" وأُتِي النَّبيُّ ﷺ بشيءٍ مِن تمرِ الصَّدقةِ فأخَذْتُ تمرةً فألقَيْتُها في فِيَّ فأخَذها بلُعابِها حتَّى أعادها في التَّمرِ فقيل له: يا رسولَ اللهِ! ما كان عليكَ مِن هذه التَّمرةِ مِن هذا الصَّبيِّ؟ فقال:" إنَّا آلَ مُحمَّدٍ لا يحِلُّ لنا الصَّدقةُ ".** (صحيح ابن حبان: ٧٢٢)

وأخرج الحاكم والبزار والطبراني في" الأوسط" عَنْ مُصْعَبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **" فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ ".** (صحيح الجامع:٤٢١٤)

وأخرج البيهقي في" شعب الإيمان" واللفظ له وابن حبان في" المجروحين" من حديث عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: **"... وملاكُ الدينِ الورَعُ ".** (صحيح الجامع: ١٧٢٧)

- **وكان النبي ﷺ وهو معلم البشرية يتحرز مما يشك فيه:**

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أنس ﷺ قال: **" مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بتَمْرَةٍ مَسْقُوطَةٍ، فقالَ:" لَوْلا أنْ تَكُونَ مِن صَدَقَةٍ لَأَكَلْتُها ".**

وعند البخاري ومسلم أيضًا من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إنِّي لأنقَلِبُ إلى أَهلي فأجدُ التَّمرةَ ساقطةً على فِراشي فلا أدري أمِن تمرِ الصَّدقةِ أم مِن تمرِ أَهلي فَلا آكلُها ".**
وذكر النبي ﷺ في الحديث المحل الذي رأى فيه الثمرة، وهو فراشه، ومع ذلك لم يأكلها، وهذا أبلغ من الورع.
وقال النووي–رحمه الله– كما في" شرحه على مسلم: " وفي الحديث استعمال الورع، لأن هذه الثمرة لا تحرم بمجرد الاحتمال، ولكن الورع تركها ".

ورع السلف الصالح:

وعلى نهج النبي ﷺ كان من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين وغيرهم من السلف الكرام، فكانوا يتحرون الحلال ويتقون الشبهات، وفهموا عن النبي ﷺ قوله: " **وخير دينكم الورع** ".

(رواه الطبراني في الأوسط وصححه الألباني في صحيح الجامع:٣٣٠٨، وقد ضعفه بعض أهل العلم)

وقد كان هذا الحديث قانونًا من قوانين السلف ومنهج حياة يسيرون عليه.

تقول عائشة- رضي الله عنها-: " **إنكم لتغفلون عن أفضل العبادة، هو الورع** ".

وقال أبو هريرة ﷺ: " **جُلساء الله غدًا أهل الورع** ".

وكان ابن عمر-رضي الله عنهما- يقول: " **كنا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام** ".

وانظر إلى ورع عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- تقول عنه زوجته فاطمة بنت عبد الملك: " اشتهى عمر بن عبد العزيز يومًا عسلًا فلم يكن عندنا، فوجهنا رجلًا على دابة من دواب البريد إلى بعلبك بدينار، فأتى بعسل، فقلت: إنك ذكرت عسلًا وعندنا عسل فهل لك فيه؟ قالت: فأتيناه به فشرب ثم قال: من أين لكم هذا العسل؟ قالت: وجهت رجلا على دابة من دواب البريد بدينار إلى بعلبك فاشترى لنا عسلًا. فأرسل إلى الرجل فقال: انطلق بهذا العسل إلى السوق فبعه واردد إلينا رأس مالنا، وانظر إلى الفضل فاجعله في علف دواب البريد، ولو كان ينفع المسلمين قيئي لتقيأت ". **(كتاب الورع للإمام أحمد)**

وها هو الإمام أحمد-رحمه الله- إمام الدنيا في وقته، مع شدة فاقته وحاجته ولكنه كان شديد الورع، وقد أتى على الإمام أحمد ثلاثة أيام ما طعم فيها مرَّة، وكان قد تخطى السبعين فاستقرض شيئًا من الدقيق وخبزوا له بالعجلة فلما وضع بين يديه قال: كيف خبزتم بهذه السرعة؟ قالوا: التنور في بيت صالح مسجور، فخبزنا هناك بالعجلة، فلم يشفع سِنه، ولا شفع جوعه في أن يأكل من هذا الطعام، لأنه خبز في تنور صالح [1]، فخاف بعد أن دخلت نار صالح في طعامه، فقال لأهله: ارفعوا هذا الطعام، ثم أمر بسد بابه إلى دار صالح.

يقول ابن القيم-رحمه الله-: " وقد جمع النبي ﷺ الورع كله في كلمة واحدة، فقال: **من حسنِ إسلامِ المَرءِ تركُه ما لا يعنيه**[2] ". فهذا يعم الترك لما لا يعني؛ من الكلام، والنظر، والاستماع، والبطش، والمشي، والفكر، وسائر الحركات الظاهرة والباطنة. فهذه الكلمة شافية في الورع.

وقال إبراهيم بن أدهم-رحمه الله-: " ما أدرك من أدرك إلا من كان يعقل ما يدخل جوفه ".

١- صالح هذا ولد الإمام أحمد، وقد نال من مال السلطان، فخاف الإمام أحمد أن يدخل طعامه ما فيه شبهة.

٢- أخرجه الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة ﷺ وصححه الألباني في" صحيح الترمذي: ٢٣١٧"، "وصحيح الجامع:٥٩١١".

وقال الحسن-رحمه الله- في قوله تعالى: ﴿ يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ ﴾ (سورة البقرة: ٢٦٩) قال: الورع ".

وعن معاوية بن قرة -رحمه الله-قال: دخلت على الحسن وهو متكئ على سريره، فقلت: يا أبا سعيد! أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة في جوف الليل والناس نيام. قلت: فأي الصوم أفضل؟ قال: في يوم صائف. قلت: فأي الرقاب أفضل؟ قال: أنفسها عند أهلها وأغلاها ثمنا، قلت: فما تقول في الورع؟ قال: ذاك رأس الأمر كله.

وعن أرطأة بن المنذر-رحمه الله- قال: قال عيسى ابن مريم -عليه السلام: " لو صليتم حتى تصيروا مثل الحنايا، وصمتم حتى تكونوا أمثال الأوتاد، وجرى من أعينكم الدموع أمثال الأنهار ما أدركتم ما عند الله إلا بورع صادق ".

وقال أبو إسماعيل المؤدب-رحمه الله-: جاء رجل إلى العمري، فقال: عظني، فأخذ حصاة من الأرض، فقال: زنة هذه من الورع يدخل قلبك؛ خير لك من صلاة أهل الأرض، قال: زدني، قال: كما تحب أن يكون الله لك غدا فكن له اليوم.

وقال يونس بن عبيد-رحمه الله-: لو أعلم موضع درهم من حلال من تجارة لاشتريت به دقيقًا، ثم عجنته، ثم جففته، ثم دققته، أداوى به المرضى.

وقال الضحاك-رحمه الله-: " أدركت الناس وهم يتعلمون الورع، وهم اليوم يتعلمون الكلام... وقال: لقد رأيتنا وما يتعلم بعضنا من بعض إلا الورع ". اهـ **(مدارج السالكين:٢/٢١)**.

وقال خالد بن معدان-رحمه الله-: " من لم يكن له حلم يضبط به جهله، وورع يحجزه عما حرم الله عليه، وحسن صحابة عمن يصحبه، فلا حاجة لله فيه ". **(الورع لابن أبي الدنيا ص:١١٧)**

وقال سهل التستري-رحمه الله-: " لا يبلغ العبد حقيقة الإيمان حتى يكون فيه أربع خصال: أداء الفرائض بالسنة، وأكل الحلال بالورع، واجتناب النهى من الظاهر والباطن، والصبر على ذلك إلى الموت ".

وقال سهل أيضًا-رحمه الله-: " من أكل الحرام عصت جوارحه شاء أم أبي، علم أو لم يعلم، ومن كانت طعمته حلالًا أطاعته جوارحه، ووفقت للخيرات ".

وقال الحسن-رحمه الله-: " مثقال ذرة من الورع خير من ألف مثقال من الصوم والصلاة ".

وقال سفيان الثوري -رحمه الله-: " عليك بالورع يخفف الله حسابك، ودع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وادفع الشك باليقين يسلم لك دينك ".

وقال حبيب بن أبي ثابت –رحمه الله–: " لا يعجبكم كثرة صلاة امرئ ولا صيامه ولكن انظروا إلى ورعه فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من العبادة فهو عبد لله حقًّا ".

وقال الشافعي– رحمه الله –: " زينة العلم: الورع والحلم ".

فهذا حال السلف الكرام؛ لا يكتفون بترك الحرام فقط بل كانوا لا يقربون الشبهات لأن من وقع في الشبهات حتمًا سيقع في الحرام ومن ترك ما يشتبه عليه من الإثم، كان لما استبان إثمه أترك.

تنبيه: ***يقول ابن رجب–رحمه الله– كما في كتابه جامع العلوم والحكم:*** " وها هنا أمر ينبغي التفطن له وهو أن التدقيق في التوقف عن الشبهات إنما يصلح لمن استقامت أحواله كلها وتشابهت أعماله في التقوى والورع، فأما من يقع في انتهاك المحرمات الظاهرة ثم يريد أن يتورع عن شيء من دقائق الشبهة فإنه لا يحتمل له ذلك بل ينكر عليه ".

كما قال ابن عمر–رضي الله عنهما– لمن سأله عن دم البعوض من أهل العراق: " **يسألونني عن دم البعوض وقد قتلوا الحسين، وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:" هما ريْحَانَتِي[1]من الدنيا–يقصدُ الحسنَ والحسينَ–".** (أخرجه البخاري وهو صحيح الأدب المفرد: ٦٢).

وسأل رجلٌ بشرَ بن الحارث عن رجل له زوجة، وأمه تأمره بطلاقها، فقال بشر: " إن كان برًّا بأمه في كل شيء ولم يبق من برها إلا طلاق زوجته فليفعل، وإن كان يبرها بطلاق زوجته ثم يقوم بعد ذلك إلى أمه فيضربها فلا يفعل ".

وسئل الإمام أحمد عن رجل يشتري بقلا ويشترط الخوصة – يعني التي تربط حزمة البقل– فقال الإمام أحمد: " إيش هذه المسائل؟ فقيل: إن إبراهيم بن أبي نعيم يفعل ذلك، فقال الإمام أحمد: إن كان إبراهيم بن أبي نعيم؛ فنعم، هذا يشبه ذاك ".

وإنما أنكر هذه المسائل ممن لا يشبه حاله، وأما أهل التدقيق في الورع فيشبه حالهم هذا. وقد كان الإمام أحمد نفسه يستعمل في نفسه هذا الورع، فإنه أمر من يُشترى له سمنًا فجاءوا به على ورقة، فأمر برد الورقة إلى البائع.

أرجو أن تكون هذه الكلمات زاجرة عن كل إثم وشر، دافعة لكل بر وخير، حتى تصفو لنا الحياة عن كدرها، وتتحقق لنا الراحة الجسدية والنفسية.

١- ريحانتاي: قال ابن الأثير-رحمه الله-:" الريحان، والريحانة؛ يعني الرزق والراحة، ويسمى الولد ريحانًا وريحانة لذلك. وقيل وقوله ﷺ:" هُما رَيْحانتايَ مِن الدُّنيا": وجهُ التَّشبيهِ أنَّ الولَدَ يُشَمُّ ويُقبَّلُ، فكأنَّهم مِن جملةِ الرَّيَاحين.

وأخيراً.. وقبل الختام أُذكر بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (البقرة:٨١)

وهذه الآية هي آخر ما نزل من القرآن – على الراجح من كلام أهل العلم – فهي آخر وصية ربانية من الوحي المتلو (القرآن)، ولم ينزل بعدها حرف واحد، وهي أعظم وصية للعباد، وفيها أيضًا الوصية بالتقوى والتذكير بسرعة زوال الدنيا، وفناء ما فيها من الأموال وغيرها: وإتيان الآخرة والرجوع إليه تعالى ومحاسبته تعالى لعباده على ما عملوا ومجازاتهم بما قدموا من خير أو شر، وفي الآية التحذير عن عقوبته.

فاجعل أخي الحبيب هذه الوصية الربانية أمام عينيك لا تغيب عنك طرفة عين، واعلم أنك ﴿كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾ (الانشقاق:٦)

فخذ من الرزق ما كفى ومن العيش ما صفا
كـل هـــذا سينقضي كســراج إذا انطفـــا

فاللهم إنا نسألك علمًا نافعًا، وزرقًا حلالًا طيبًا، وعملًا متقبلًا.
اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك، وأغننا بفضلك عمن سواك.
اللهم لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، وبلغنا مما يرضيك آمالنا.
اللهم أصلح ديننا الذي هو عصمة أمرنا، وأصلح دنيانا التي فيها معاشنا، وأصلح آخرتنا التي فيها معاشنا.
اللهم اجعل الحياة زيادة لنا من كل خير واجعل الموت راحة لنا من كل شر.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة.

وأسأل الله– تعالى– أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صوابًا فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحًا ولوجهك خالصًا، ولا تجعل لأحد فيه نصيبًا

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله – تعالى– أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك